

## مؤسس لغتنا الموسيقية

الهيئة العامة لقصور الثقافة مسابقة موضوعها «ألحان

أقامت

سيد درويش» شاركت فيها ٤٠ فرقة من محافظات

مصر. لم تكن الجائزة المادية للمسابقة هي المكسب الوحيد فيها. إنما التعرف إلى خزائن هذا الفنان العبقري، وكان أداؤها مكسبا أكبر.

عاشت مصر ليالي سيد درويش بحب واندمجت في نعماته وأفكاره لمحاربة الآفات الاجتماعية التي تصيب أى مجتمع. وفى التغنى بحب مصر، وهلهة أعدائها من المحتلين والحكام الفاسدين، بالإضافة إلى رؤيته فى تناول الأعمال المسرحية.

كانت المسابقة، تقديرا حقيقيا للسيد درويش من جانب الدولة ممثلة فى وزارة الثقافة، فكل ما سبقها من احتفالات أو تكريم للرجل لا يفيه حقه.

أما أشكال التكريم السابقة لسيد درويش فهى أوبرا باسمه فى الإسكندرية، وقاعة بأكاديمية الفنون بالجيزة، وتمثال فى حديقة دار الأوبرا، وشارع يحمل اسمه فى وسط القاهرة، وطابع بريد بمناسبة ذكرى مولده. كل ذلك لا يكفى وما قامت به هيئة قصور الثقافة هو الأنسب. لتكريم موسيقار سبق عصره، وأرسى دعائم اللغة العربية للموسيقى وتحويلها من وسيلة للترفيه الرخيص أو الغالى إلى وردة رقيقة فى الحب، وحد السيف ضد الخونة والمحتلين ذلك أنها ألفت الضوء على أعماله وهيأت الفرصة ليردها عدد كبير من الشعب.

أما الأعمال الدرامية التى تم تقديمها عن سيد درويش فليست كافية لا كما، ولا كيفا.

سيد  
درويش



فيلم «سيد درويش» سيناريو سامى داود ومصطفى سامى ، وحوار مصطفى سامى ، وإخراج أحمد بدرخان. وعرض لأول مرة فى ٥ أكتوبر ١٩٦٦. موسيقى عبد الحليم نورية، غناء إسماعيل شبانة وهانى شاكر، إنتاج الشركة العامة للإنتاج السينمائى العربى. هند رستم فى دور (جلييلة) وكرم مطاوع فى دور (سيد درويش).

يدور الفيلم حول ميلاد سيد درويش بكوم الذكة ويتوفى والده فى سن صغيرة. وينمو على حب الموسيقى. ويحضر ذات يوم خطابا سياسيا لمصطفى كامل فتلصق به كلماته التى يحولها بعد ذلك إلى أغنية وطنية ملتبهة، يسافر إلى سوريا ويكتشف موهبته هناك وعند عودته يتعرف إلى سلامة حجازى الذى يعلمه أصول الموسيقى، يتعرف إلى «جلييلة» العاملة المشهورة، تتعرض الأسرة على ممارسة سيد للغناء فى البارات. تنمو العلاقة مع جلييلة. ويصبح موسيقارا مشهورا ويقرر السفر إلى القاهرة ويستوحى الأغنيات من الأحداث السياسية والاجتماعية. ويشارك بالغناء فى ثورة ١٩١٩، ويساهم فى أعمال المقاومة. يطارده العسكر البريطانيون. فيهرب. وبعد المطاردة يشعر بإجهاد شديد، ثم يثقل جسمه ويسقط على الأرض فى ليلة انتظاره لسعد زغلول مع أبناء الوطن.

الفيلم لم يرتفع لمستوى سيد درويش. لذلك اعترضت الناقدة صافيناز كاظم عليه كحقائق المعلومات وكإخراج وتمثيل وعلى الصورة المبالغ فيها فى حياته. ووصفتها بالابتذال وقلة الذوق وتشتييت الانتباه. وقالت إنها تعرف إذا كان المقصود هو فضح الحياة الخاصة والتبديد بسيرة الرجل ونهش عرضه بلا وازع رقة أو حنان. ثم إن الأغانى فى رأيها كان من الأنسب عرضها بصوت صاحبها مع الاعتراف بجمال صوت إسماعيل شبانة. أما مسرحية «سيد درويش» التى كتبها الشاعر صلاح طنطاوى وقام محمد نوح فيها بدور سيد درويش فقد لاقت اعتراضات من محمد البحر بن سيد درويش بحجة أن بعض المعلومات والأسماء وترتيب الألحان ليست صحيحة.

ولأحد ينكر مدى حساسية محمد البحر تجاه أعمال والده سيد درويش، بدليل عدد القضايا التى شهدتها المحاكم وهو طرف فيها والأطراف الأخرى جهات وفنانون تعرضوا لأعمال سيد درويش فى محاولة تقديمها.

ورث محمد البحر العصبية الإسكندرانية من والده الذى كان يثور ويهيج ويموج إذا سمع أى تحريف لألحانه من مؤدى أو كورال أو مطرب.

أطفال أطربوا العالم

صاحبت الدكتور المهندس حسن محمد البحر درويش وصادقت حسن سيد درويش ووجدت فيهما فهما عظيما لألحان الجسد. والوالد. وتأكدت أن التحريف قد نال من أعمال سيد درويش فعلا مع كثرة عمليات النقل والتحفيظ من جهات مختلفة ولم أسمع أن د. حسن قد تقدم للقضاء يشكو جهة أو فنان غنى لسيد درويش. أما عمه حسن درويش فيكتفى بإصدار الكتب التي يعبر فيها عما يشعر به تجاه التحريف. أو يعارض فيها شقيقه الأكبر محمد البحر في مسائل فنية أو أسرية.

□□□

ولد سيد درويش ١٧ مارس ١٨٩٢ بحى كوم الدكة بالإسكندرية من أسرة فقيرة. بلغ سن الخامسة فأدخله والده - وكان يعمل نجارا - كتاب سيدى أحمد الخياشى ليتعلم القرآن الكريم ويحفظه. وبعدها انتقل إلى مدرسة قريبة من منزله هي مدرسة «حسن أفندى حلاوة». وهناك التقى بسامى أفندى الذى أعجب بصوته واستعداده الموسيقى. نقله أبوه إلى مدرسة أخرى اسمها «شمس المدارس» فى قسم الجمرك، وهناك التقى بنجيب أفندى فهمى، وكان يعمل نهارا بالتدريس وليلا «ماكبير» فى فرقة جورج أبيض التى اتحدت مع فرقة سلامة حجازى.. وكان نجيب أفندى يحفظ أدوار الشيخ سلامة كلها. اهتم نجيب أفندى بموهبة الطفل سيد درويش بتحفيظه أدوار الشيخ سلامة وبعض أغاني عصره. توفى والده ولم يبلغ سيد السابعة من العمر، فاضطر للخروج لكسب عيشه. من قراءة القرآن الكريم وغناء التواشيح والقصائد التى كان قد حفظها من الشيخ أحمد ندا والشيخ حسن الأزهرى بجامع كوم الدكة. وكان فى بعض الأحيان يعمل صبيا لعمال البياض. وكانوا كثيرا ما يظليون منه أن يقوموا بعمله مقابل أن يتفرغ هو للغناء لهم. التحق سيد كطالب بمسجد الشوربجى ليؤذن فيه، ثم ذاع صيته فى الغناء واشتهر بإحياء حفلات خاصة بالإسكندرية، يؤدى فيها ألحان إبراهيم القبانى وداود حسنى فى القاهرة والمنتديات الشعبية.

تزوج سيد وهو فى السادسة عشرة من عمره واستمر فى الغناء دون الالتزام بفنان محدد. فى عام ١٩٠٩ وبينما كان يغنى سيد للعمال سمعه صاحب فرقة عطا الله وطلب منه أن يسافر معه إلى سوريا، وهناك علم بأن زوجته أنجبت ابنه الأول محمد البحر. فى رحلته لسوريا حفظ سيد أغنيات وأدوارا كثيرة وتواشيح وقصائد، كما تعرف إلى عثمان الموصلى

الذى لفته الفن الخاص به. ولكن الرحلة على قدر نجاحها فنيا فشلت ماديا فأرغم سيد على العودة إلى الإسكندرية.

عمل في محل لتجارة الآثاث يملكه زوج أخته الذى اشترط عليه أن يهجر الغناء. فكان يمارسه خلسة حتى ذاع صيته كأحد مشاهير الإسكندرية فطرده زوج أخته من العمل. ومن المنزل أيضا. لحن سيد رواية «فيروز شاه» لفرقة جورج أبيض. وسافر مع الفرق إلى الشام للمرة الثانية ١٩١٢. وكانت رحلة ناجحة هذه المرة فنيا وماديا. واستطاع أن يعزج بين أساليب الغناء فى مصر وفى سوريا.

عاد سيد درويش إلى الإسكندرية وتعرف إلى «جليلة». ملهمته. ولحن فى حبها «عشقت حسنك» و «زورونى كل سنة مرة».

استمع سلامة حجازى إلى سيد درويش فأعجبه فنه ونصحه بالسفر إلى القاهرة. ونفذ النصيحة عام ١٩١٧ حيث تعاقد على الغناء فى كازينو اليوسفور. وتعرف إلى أصحاب الفرق المسرحية هناك ولحن الكثير من أعماله المسرحية.

لم يتجاوز زمن الإبداع الفنى لسيد درويش ست سنوات، غير خلالها الغناء العربى، وأسس لغة الموسيقى العربية الحديثة المستخدمة بعده. أما أغانيها فقد تخلت إلى درجة كبيرة عن الحالة التى وضعها فيها، فعادت إلى الزخرفة التى قضى عليها وأصبح الكثير منها كلعبة للتسلية والترفيه.

التحم سيد درويش بالناس. عايش مشاكلهم واستفاد من آخر ما وصل إليه علم الموسيقى. ومازالت الأذان مبهورة بما سمعت وبأعمال نسمعتها لأول مرة. وأخرى نسمع عنها ولم نسمعها.

كانت معلوماتى منذ سنوات الدراسة فى معهد الموسيقى العربية أن لسيد درويش عشرة موشحات. لكن البحث أكد أن له حوالى ٤٠ موشحا من المقامات العربية المختلفة والضروب المنوعة. وله موشحات دينية وهى لون نادر فى تراثه لم يسمعه كثيرون. ومنها: «ميلاد الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم» وغناه الشيخ أمين حسنين - مقام عجم عشيران - إيقاع مسمودى (٤/٨)، كما ابتكر إيقاعا يحمل اسمه فى موشح «يا صاحب السحر الحلال». أداه محمد مرسى من مقام الحجاز وأطلق على الإيقاع الخاص به اسم «فكرتى» وهو (١٥ على ٨).

ومن الموشحات التي لحنها سيد درويش، ألا يا من سلمت عقلى - أهوى قمرا سهامه  
عيناه - أيا مرادى إلى كم هذا الجفا - اجمعوا بالقرب شملى - العذارى المائسات - بالله  
أيا من أخذ العقل وسارا - بدا وفى كفه شمس الطلا تنجلى - بصفات جعلتنى - جعلنى  
غرامى - حبى دعانى للوصال - حبر الأفكار - رفقا بمن زاد اشتياقى - سئل فينا اللحظ  
هنديا - صب يخال حبيبته - صحت وجدا - طرز الريحان حلة الورد - طف يا درى  
- ظبى من الترك - عجيب وغريب - غمضى جفونك يا عيون النرجس - فى سبيل  
الحب قلبا - من هواك فنى جلدى - كلما رمت ارتشافا - محبوبى قصد نكدى - منيتى  
عز اصطبارى - ناعم الخد المورد - نبه الندمان صاح - نرى العقد فى ثغره محكما - نم  
دمعى من عيونى - هل على الأستار هتك - والذى ولاك قلبى - يا بهجة الروح - يا ترى  
بعد البعاد - يا حمام الأيك أطرب - يا شادى الألحان - يا صاحب السحر الحلال - يا  
عذيب المرشف - يا غصين البان - يا مليكا تاه عجبا.

كان على سيد درويش أن يجارى أعلام التلحين فى عصره، فلحن القوالب التى تميزوا  
فيها وأكثرها منها من موشح، ودور، وقصيدة، وعلى رغم أنه تميز فى كل هذه الألوان  
وتنوعت موشحاته بين البسيط، أى الإيقاع الحى السهل مثل «يا بهيجة الروح» و «صحت  
وجدا» وبين ما يظهر القدرة على التلحين من الضروب الطويلة المعقدة مثل «منيتى عز  
اصطبارى» و «حبى دعانى للوصال».

وتناول سيد درويش تلحين «الدور» فى إطار الصياغة التقليدية لهذا القالب والتى أبدعها  
وأرسى تقاليدها محمد عثمان، ومع ذلك فلم تخل بعض أدواره بين تطوير وإضافة كما  
حدث فى مقطع الآهات المتبادلة بين المغنى والكورال (الهتك) فى دور «فى شرع مين».  
إضافة إلى أن أدوار سيد درويش سادها طابع التعبير العام والإحساس بالمنام الذى ترسمه  
كلماتها.

لحن سيد درويش ١٢ دورا سجلت على أسطوانات بصوته ما عدا دور «يوم تركت  
الحب» سجله المطرب محمد أنور الخضيرى ودور «يلزم بقى تهنى الفؤاد» وتم تسجيله  
بصوت محمود مرسى.

أما دور «شكيت يا قلبى من ليلتين» فلم يلحن منه سيد درويش غير المذهب، وتم  
تسجيله بصوت ابنه محمد البحر.

لحن سيد درويش أدوار «عواطفك دى أشهر من نار» ، «أنت أصل البدر عندى» ،  
«يا فؤادى ليه بتعشق» ، «عشقت حسنك» ، «فى شرع مين» ، «ياللى قوامك يعجبني» ،  
«الحبيب للهجر مايل» ، «ضيعت مستقبل حياتي» ، «أنا عشقت» ، «أنا هويت» . وكتب  
كلمات معظم هذه الأدوار محمد يونس القاضى .

ومن الأعمال النادرة فى تراث سيد درويش ما لحنه من قصائد ، وسلامات . أما القصيدة  
الغنائية فهى أقدم أشكال الغناء العربى وأكثرها انتشارا فى تراثنا . لحن منها ٢١ قصيدة  
منها ما كان فى مسرحياته الغنائية «الهورى - عبد الرحمن الناصر - الدرّة اليتيمة»  
ومنها ما تم تلحينه فى قالب منفرد مثل «أيها القلب تمهل واتند - حن الزمان وجاء لى -  
رحمة الله على عهد مضى - سلى خيالك عن قلبى وما وجدا - صفالى الدهر يا سلمى - قد  
خيب الدهر يوم الوصال آمالى : وجميعها أداء حامد مرسى . ولحن فى مسرحياته للمجموعة  
قصائد : «إن هذا اليوم إن صح المقال» ، فى رواية «أوبريت الملك» و «حيوا الهوى والغراما  
بالدلال» و «قيل لى قد تبدا» وتولى عكاشة قصائد «لوكرىس لا تنسى يمينك واذكرى - وهل  
سمعتم أم رأيتم جنونا - يا هاجرى هل إلى الوصال منك بديلا» .  
وغنت لبيبة جانيللى : ما لذتى وانشراحي إلا نسيم الصباحى - هات يا ساقى  
الحميا .

وغنت فاطمة سرى قصيدة : الغصن يرقص من طرب . كما لحن قصائد : أيها الناظر إنا  
زاهرات وأزهار - حان الرحيل فودعوا أحبابكم .

كما لحن عدة أبيات فى شكل قصيدة كقطع من افتتاحية أوبريت «شهرزاد» «اليوم  
يومك يا جنود» تقول الأبيات التى كتبها بيرم التونسى :

يا حياة الروح هل حالك حالى  
تذكرين الوصل فى تلك الليالى  
هل يزور الطيف ميدان القتال  
أم يحول العمر من دون الوصال  
فى رضا الأوطار إنى لا أبالى  
إنما الإقدام من شأن الرجال

□□□



سرجوا الصندوق يا مهمد      لكن مفتاحه مآي  
آلد يا شنجه كريكري

إنها صحيحة سودانية خالصة ينقصها صدق التصوير بلغة أهل السودان وبياقاعاتهم  
ونغماتهم فتحولت إلى نشيد مصرى سودانى شعبى . وتحول المؤلف والملحن إلى صديقين  
دون أن يلتقيا إلا فى الإبداع الفنى . فلما التقيا فى المسرحى لم يفترقا .  
قدم بديع وسيد درويش أغانى الطوائف فى المسرحيات . السقايين والسودانية والرشيدة  
والشيبالين والمجانين والحشاشين والتحفجية والشعراء والأروام والمراكبية والموظفين وأولاد  
الذوات والوارثين والعمال والصناعية والمغاربة وتجار الفحم والجزارين والحمارين والباعة  
والصعيدة والسياس والجرسونات والبويجية والعرجية .  
أول مسرحية لحنها سيد درويش لفرقة نجيب الريحانى هى : «ولو» وكتب بديع ولحن  
الشيخ سيد منها «السقايين» ومطلعها :

يهون الله يعوض الله  
ع السقايين دول شقايين  
متعريين م الكوبانية  
خواجاتها جونا . . حيطفشونا  
ليه بيرازوسا . . دى صنعة أبونا  
متعبرونا يا خلائق

تمثل كلمات هذا الاستعراض طلبة ضد الاحتكار فى مصر وكشف الاستغلال الأجنبى  
واغتصاب حقوق شعبها . وهو معنى نسمعه كثيراً فى استعراضات الثنائى بديع والشيخ  
سيد . ومن أمثالها استعراض العمال ومطلعها :

الحلوه قامت تعجن فى البدرية  
والديك بيدن كوكو كوكو فى الفجرية  
يللابنا على باب الله يا صنيعيه  
يجعمل صباحك صباح  
الخير يا سطرى عطيه  
طلع النهار فتاح يا عليهم

والجيب مافهش ولا مليم  
مين فى اليومين دول شاف تلطيم  
زى الصنایعیة المظالم  
الصبر أمره طال  
واش بعد وقف الحال  
ياللى معاك المال  
برضه الفقير له رب كريم

ومن الأعمال التى عالج سيد درويش وبيدع خيرى فيها موضوع الاحتكار هذا الاستعراض:

ما قلتكش إن الكثره لابسد يوم تغلب الشجاعه  
وأديك رأيت كلام الأمرأ طلع تمام ولافهش لواعه  
غيرش اللى كان هالك أبدانا ومطلع النجيل على عينا  
إن محمد يكره حنا ودخل دول إيه بس ف دينا

أما استعراض «الموظفين» فيصور الشعور الوطنى العام الذى شمل جميع طوائف الشعب فى ثورة ١٩١٩ حين سافر الزعيم سعد زغلول وصحبه إلى مؤتمر فرساي لعرض القضية المصرية فتجاهلهم الإنجليز وأرسلوا إلى القاهرة اللورد ملنر على ضفاف النيل من يقبل التفاوض معه. وينتهى الاستعراض بشكوى تقليدية من جانب الموظف عن قلة الدخل ووفرة العيال حيث يقول:

هز الهلال يا سيد كراماتك لأجل نعيد  
يكفى اللى حصل كام يوم ووصل  
يسا زرع بصل هويت وهو راق الحال  
ورجعنا للأشغال دا الموظف منا مش  
وش خناقه ولا شومه لما تحمر عينه  
واللا يقوم له قومه حد الله ما بينا وبينك

غير حب الوطن يا حكومه

ويقول في نهاية الاستعراض :

فى الشغل قل يا سيدنا البيه  
ثمانيه ما يجيبوا رجليه  
والغلب اللى شاربينه  
يا ريت العالم عارفينه  
دى ماهيه إيه  
دول خمسة جنيه  
من خمسة منه تروح  
وبقيته نقول أبوح

د بسلامتها الست بتاعتى ما تتوصاشى  
ولا تولدليش فى البطن إلا اثنين كداع الماشى  
وييجى الجزار والخضرى والبقال يلعنوا أبوخاشى

كان بديع خيرى مركزا للإمداد الشعرى والزجلى لألحان سيد درويش، وكان هناك مراكز أخرى، فاللحن المتوهج الصادق كان كفيلا بجذب الشعراء والزجالين إليه، وكان أمين صدقى من كتاب المسرحيات، كتب مسرحية «الانتخابات: وفيها استعراض: بنات اليوم» عن أمانة الفتاة وكفاءتها وجدارتها بمكانة مرموقة يقول مطلعها:

دا وقتك دا يومك يا بنت اليوم  
قومي اصحى من نومك.. بزيادك نوم  
وطالبي بحقوقك واخلصى م اللوم  
ليه ماتكونشى زى الغربيه  
وتجاهد فى حياتنا بحريه  
شطاره شاطرين قداره قادرين  
مين فى دردحتنا وخفتنا دى مين

سمع سيد درويش ذات مرة عند مروره بمنطقة الزهار بحى بولاق صعيدياً ينادى على البلح الذى يبيعه، بندااء طريف لفت سمعه وأوحى له بشكل لحنى. طلب من بديع خيرى

أن يكتب مقطوعة زجلية على لسان بائع صعيدى تصلح لنغمات اللحن الذى حفظه من بائع البلح. وكتب بديع الاستعراض المطلوب ضمن أوبريت بعنوان: «قولوله» ويقول مطلعته:

مليحه جوى الجلل الجناوى  
رخيصه جوى الجلل الجناوى  
جرب حدانا وخذ جلتين  
الدنيا مالها يا زعبلاوى  
شجلبوا حالها وين المداوى  
شوفوا البلاوى  
والبنك ناوى  
يرفع دعاوى  
عشان يتاوى  
فى فلوسنا واحنا متجندين

وكما فعل سيد درويش مع بائع البلح فعل مع بائع الطرشى. وكان قد سمع نداءه فى جزيرة بدران، حيث كان يسكن فى القاهرة.

ولم يكن سيد درويش يصنع الألحان من أفواه الشعب فقط، وإنما كان يستلهمها ثم يبنى ألحانه التعبيرية الساخرة. مع بساطة فكرته مما يؤكد عمق انفعاله بالأحداث السياسية والاجتماعية وبطوائف الشعب المكافحة فى سبيل لقمة عيش شريفة. نشرت جريدة «الأفكار» ١٩١٦ مقالاً بعنوان: كيف يباع الغاز فى العاصمة، تصف مشهد بيع الغاز بالتعريفه رغماً عن تاجره، فلحن سيد درويش نشيد الغاز، ويقول مطلعته:

استعجبوا يا فنديه      متر الغاز بروبييه  
ثمن المتر زمان بفضيحه      واللى يطوله اليوم بفضيحه  
مأمور القسم يدى نصيحة      ماشيه قدامه دوريه

وترك لنا سيد درويش ثروة من الأناشيد وأعمال التغننى بمصر وأرضها وشعبها وقيمتها. تضمنت أعماله المسرحية ١٧ نشيداً يحيى فيها الجيش والشعب والقوى الوطنية. وبعيداً عن مسرحياته لحن أربعة أناشيد منها «مارسيليز» مصر أو نشيدها القومى «بلادى بلادى..

أطفال أطربوا العالم —

لك حبي وفؤادي» وأناشيد «بنى مصر ومكانكموا تهيأ - ومصرنا وطننا سعدنا أملنا - مصرنا وطننا وحدته أملنا».

تحلى سيد درويش بالوعى الاجتماعى والوطنى وظهر فى أغان وأناشيد بسيطة جميلة وجديدة. جعلته واحداً من أهم فرسان النهضة فى مصر فى أوائل القرن العشرين. أما أصالة ألحانه فقد ضمنت لها الخلود وتفاعل الأجيال بها جيلا وراء جيل. والقيمة الموسيقية لسيد درويش تظهر فى ألحانه المسرحية فهى نقلة موسيقية كبيرة وتطور فى الشكل والقالب والأسلوب.

لحن سيد درويش ٢٨ مسرحية. تضمنت استعراضات الطوائف التى جعلت منه اجتماعياً ومفكراً وطنياً، كما تضمنت الأناشيد التى تتغنى بالقيم الوطنية ولتحفيس الشعب والتمسك بحب الوطن.

بدأت الحركة المسرحية فى مصر بعد انتصاف القرن التاسع عشر. ساعد على ذلك بناء الأوبرا المصرية ١٨٩٩. وسبقها بعام إنشاء المسرح الهزلى الفرنسى (الكوميدي فرانسيز) فى مصر مما أفسح المجال لفرق الموسيقى والغناء والتمثيل الأوروبى آفاقا جديدة لتفد إلى مصر كل عام بعروضها الفنية المختلفة مما ساعد على أن يتعرف المصريون إلى الفنون الجديدة وتذوقهم لها وإن اقتصر جماهير هذه العروض على طبقة الأغنياء والمثقفين فى مصر.

أراد يعقوب صنوع فى عام ١٨٦٩ أن يقيم مسرحا مصرية يعرض عليه مسرحيات عربية أعدت خصيصا له. بدأ تأليف مسرحيات قصيرة تتخللها مقطوعات سخرية ملحنة تلحينا شعبيا. واتجه فى أغلب مسرحياته إلى النوع الهزلى وقد مزج فيها بين العناصر المصرية والأوروبية. إلا إنه أثار حفيظة بعض المصريين بشأن بعض الموضوعات التى تسخر من بعض التقاليد المصرية مما أدى إلى إغلاق المسرح بأمر الخديو بعد عامين من إنشائه.

وجاءت فرقة سليم خليل النقاش من سوريا وتبعتها فرق أخرى من سوريا ولبنان مما صنع نهضة مسرحية فى مصر وقامت بينهم منافسة فى تقديم روايات مؤلفة وأخرى مترجمة. وكان طبيعيا أن تبدأ الفرق المصرية فى الظهور نتيجة لذلك. وقد ظهرت اعتبارا من أول القرن العشرين.

صعد سلامة حجازى بالتخت على المسرح بالمعنى. فوضع قصائد اشتهر بغنائها خلال أحداث الرواية. وكانت بعض المسرحيات المصرية قبل ذلك قد نشرت بين الأحداث المسرحية أغنيات فولكلورية أو شعبية.

تكونت فرق مصرية كثيرة منها فرقة جورج أبيض التي تناولت موضوعات مصرية وأخرى مترجمة ثم اندمجت مع فرقة سلامة حجازي وقدمت مسرحيات منها «فى سبيل الوطن» و «الحاكم بأمر الله» و «قلب امرأة».

لحن سيد درويش فى عام ١٩١٨ مسرحيات (ولو - الهوارى - ده كله من ده) وفى عام ١٩١٩ لحن ٧ مسرحيات هى: (إش - عقبال عندكم - أحلامهم - ولسه - رن - قولوله - مرحب - قلنا له)، ولحن عام ١٩٢٠، ٤ مسرحيات هى: (راحت عليك - العشرة الطيبة - كلها يومين - فشن). ولحن ١٩٢١، ٥ مسرحيات هى: (هدى - شهزاد - اللى فيهم - البروكة - عبد الرحمن الناصر)، ولحن فى عام ١٩٢٣ وهو العام الذى توفى فيه سيد درويش لحن (الهلال - البربرى فى الجيش - الدرّة اليتيمة - الانتخابات - كليوباترا ومارك أنطونيو التى أكمل ألحانها وقام ببطولتها محمد عبد الوهاب أمام منيرة المهديّة). ظهرت فى مصر من خلال مسرحيات سيد درويش قوالب غنائية جديدة. مثل: المونولوج، والديالوج والتريالوج. والغناء الجماعى.

من الديالوجات التى لحنها: (آدى سبرتو الفابريكه - آدينى أهه جيتك بدرى - السر دا هنا هو فى قلبى - الله على شكلك وحلاوتك - آن الآوان يا حلوة آن - أهل البلد همه اللى حكولى - بزيادة بقى جنتينى - حرام عليك والله يا قلبى - طال شوقى لحبيبي مصطفى - على قد الليل ما يطول - غير الزواج فيه هنا تانى - لما أشوف وش الحبيب - مين زى مين أسعد منى - هوه بعينه وبمناخيريه - يابو الكشاكش ياما لسه نشوف - يا حبيبي يا حياتى - باللى جفاك سبب كرىبى - يا نيل سلام يا أنس القواد).

أما المونولوجات التى لحنها سيد درويش فى مسرحياته فهى:

(اشمعنى يا نخ الكوكايين كخ - الناس وقعتها خفيفة - أنا رأيت روحى فى بستان - أنا ميساريم - أنس وجمال وخلو بال - إن الخيانة وإن الذنب - بكره يا بنتى تخشى دنيا - تركت مصر بلادى - شرفك لو ضاع منك وإتهان - كأن الشيطان بيعزم يوم - كم روعتنى سيوف - لفيت أنا كل الدنيا - مصطفاكى بزياداكى - نادرة وحصلت ويايا - يا سلام ماكنتش أفهم - يا فرحتى بجواب محبوبى - ياليل سمير كل العشاق - يا نسر طير وافرد الجناحين - يا واصفين آدى القناطر الخيرية).

يشكل الغناء البوليفونى عنصرا أساسيا فى الغناء الأوروبى وهو عنصر لم يهمله سيد درويش فى ألحانه المسرحية. إنه الأداء المتزامن فى خطين أو ثلاثة. وهو ليس غريبا على أطفال أطريروا العالم

الفطرة العربية وموجود فى الفولكلور. وفى مصر كانت مؤذنة مسجد الشيخ صالح أبى الحديد تبدأ الأذان فيتبعها المؤذنون على مآذن المساجد المجاورة ملتزمين بالمقام الموسيقى الذى اختاره مؤذن مسجد الشيخ صالح. بينما يختلف كل أذان حسب طبقة صوت كل مؤذن فيصل الأذان إلى الناس من مقام واحد وأصوات متعددة ومنوعة، وهذا أحد أشكال الغناء البوليفونى.

واعتماد المبتهل أو المنشد أن يميز صوته عن صوت البطانة فى الغناء الدينى الشعبى والابتهالات، فيغنى من طبقة مرتفعة عن طبقاتهم التى يؤدون منها ويشكل ذلك شكلاً آخر للغناء الفطرى المصرى المقام على الغناء البوليفونى، وكذلك فإن آلة الأورغول بصوتيتها المتزامنين، حيث يخرج منها العازف صوتين فى آن واحد شكلان، من أشكال الموسيقى البوليفونية.

تأثر سيد درويش بالموسيقى الأوروبية فى دار الأوبرا المصرية. ومع الكوميدى فرانسيز، وقدم أكثر من لحن ظهر فيها. تعود التصويت فى أوبريت «شهرزاد». وبالتحديد فى لحن «وقت طبول الحرب يا خياله».

فبعد أن سلمت الخاتون شهرزاد سيف والدها إلى البطل المصرى زعبلة الذى أعجبت به وأمرت بأن يتولى قيادة جيشها، أعلن الثلاثى الذى يمثل العدا للقاء الجديد بأداء جماعى بجملة:

كلام فى كلام.. منام فى منام  
مش راح ينفع ولا يتمتع  
أبدا.. أبدا إن شاء الله

ويرد الشعب عليهم:

راح يتمتع.. بكره نسمع  
غصبن عنكم إن شاء الله

ويختلط صوت الأعداء مع صوت الشعب، كل فى مواله.. بصوت القائد زعبلة يحمس جنوده، وينشد فى ذات الوقت:

دوسوا الأعداى بالقدم  
ما احناش ف وقت انتظار

واملوا نفوسكم بالهمم  
واملوا السما والأرض نار  
يا عسكري اللي انهزم  
يقع فى عار وأى عار  
وإن داس على النفس وهجم  
ريك كفيل بالانتصار

وينتهى الفصل الأول للمسرحية بمشاركة الخطوط الغنائية الثلاثة كتجربة أولى فى الغناء العربى.

وتضمنت أوبريت شهرزاد ألحاناً أخرى عولجت بوليفونيا منها «أحسن جيوش فى الأمم جيوشنا» فى أوبريت «شهرزاد»، «آن الأوان يا حلوة آن والسعد كان مستنى يومك»، «ياللى تصلى على النبى تكسب» فى أوبريت «العشرة الطيبة» ولحن «يا حلوة مين إنتى ياروحى» فى مسرحية «راحت عليك» قد فقدت الخطوط الموسيقية المضافة ربما لعدم قدرة المؤدين على التنفيذ أو لضياع النوت الموسيقية الخاصة بها.

أدرك سيد درويش أن ألحان الأوبريت يجب أن تشمل فقرات لحنية منسجمة ومكونة من مسافات موسيقية ثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وأوكتاف، مما يساعد على تطبيق علوم الهارمونى، على أن تأتى فى نفس الوقت مستساغة من جانب المستمع العربى.

كان لحن «عشان ما نعلا ونعلا.. لازم نطاطى نطاطى نطاطى»، هو الشكل النموذجى للتركيب الموسيقى للجملة المكونة من درجات ثالثة وخامسة وأوكتاف. أما من الناحية التعبيرية فيشكل نمودجا ومثالا فى تصوير معانى الكلمات من الارتفاع بالقفز (نعلا ونعلا) إلى الانخفاض بالقفز أيضاً فى (نطاطى نطاطى).

حاول سيد درويش أن يستخدم الغناء البيوليفونى فى تلحين أدواره على رغم أنه قالب للغناء التقليدى هدفه التطريب المعتاد. فاستعمل خطين موسيقيين متزامنين مختلفين فى النوت الموسيقية، وذلك فى المقطع الخاص بالآهات المسمى (الهنك) فى دور «فى شرع مين».

وأدرك سيد درويش احتياجه لفرقة موسيقية كبيرة تختلف عن التخت الذى كان مستخدماً فى عصره. وذلك من أجل التعبير الجيد والمصاحبة الموسيقية المطلوبة لألحانه التعبيرية. فكون فرقة موسيقية كبيرة متكاملة تعتبر ثورة على شكل التخت. كما اتفق مع المستشرق

«سيو كاسيو ديمتري» على قيادتها مع عمل التوزيع الأوركستراي المطلوب لها، كما راعى أن تكون المقامات المستخدمة في التلحين كلها بعيدة عن المقامات التي تحتوى على ثلاثة أرباع المقام. رأى أن تكون من المقامات «الديتاتونية».

إن عبقرية سيد درويش يجب أن تكون حقاً لكل الأجيال. واجب أن يتعرف إلى إبداعاته كل المصريين والعرب. فهو مجدد موسيقى ومؤسس موسيقى عربية صالحة للتعامل كوسيلة للتعبير، وإذا تكرر عرض أعماله المسرحية. كما يتكرر إذاعة طقاطيقه وأدواره وموشحاته، فسوف تدرك الأجيال مدى عبقرية هذا الفنان الخالد، وسوف تمثل أعماله ثروة لحنية كبرى تدعم مواهبنا الشابة في مجال التلحين بكل ألوانه.

من حسن حظي أن أنتمى لجيل أتيحت له الفرصة للاطلاع على ثروة سيد درويش اللحنية ليس من خلال دراستها في معهد الموسيقى العربية، فلم يكن يدرس من أعماله الكثير في المعهد. إنما من خلال ممارستها في جامعة القاهرة في فرقة موسيقية وغنائية نصف محترفة، ومخرجين نجوم.

نشرت مجلة الكواكب في عددها رقم ٩٥٦ الصادر بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩ التحقيق التالي بقلم الكاتبة الصحفية عائشة صالح:

## جامعة تعيد المسرح الغنائى للحياة

تكونت في جامعة القاهرة فرقة للفنون الاستعراضية، نجحت بدرجة (ممتاز) في تقديم ثلاث مسرحيات غنائية من تراثنا الموسيقى في حدود ميزانيتها الضئيلة. وبذلك تكون جامعة القاهرة قد وصلت إلى المستوى الفنى لجامعات أوروبا وأمريكا حيث تقدم العلم والفن معاً للمجتمع. فالفرق الجامعية تعد رائدة في مجال الفنون أيضاً.. فهى تنقل العمل الفنى إلى النطاق الأكاديمي.

أحدث ما قدمته فرقة الجامعة هو أوبريت «شهرزاد» من الأوبريتات الخالدة التي لحنها سيد درويش وكتبها بيرم التونسي. وبرغم أن فرقاً كبيرة لم تفكر في تقديم هذا العمل الخالد.

قصة «الأوبريت» في فكرتها الأساسية من حواديت ألف ليلة وليلة. لكنها تريد أن تقول شيئاً. إن «شهرزاد» أميرة على دولة كبيرة. تتعرض للخطر فتستنجد بكبار رجالها.

أطفال أطربوا العالم

لكنه جندى من أبناء الشعب يستطيع أن يقود الجيش ليحقق الانتصار ويظل الجندى يلقي التقدير والترقيات حتى يصبح قائداً عاماً للجيش، ويربط الحب بينه وبين فتاة مصرية، مما يجعل شهرزاد تغضب عليه لأنها قد أحبته.

تتأمر حاشية القصر على ابن الشعب. لكنه يجتاز الآلام والمحن في شجاعة. وأخيراً ترضى عنه شهرزاد وتعيده إلى مكانته. أما هي فكان دورها مع شهریار.

تعرض القصة من خلال ألحان ولوحات استعراضية وغنائية قام بتجسيد أدوارها فائزة عبد العال في دور شهرزاد ومحمد قابيل في دور الجندى ابن الشعب ومنى زكريا في دور الفلاحة حبيبة الجندى وعبد المنعم طنطاوى في دور القائد التركي والمنتصر بالله في دور البرنس قمع الدولة وسيد خضر في دور الوزير الشامى ومحمد متولى في دور المأذون. أما الإخراج فلنجم الإخراج الاستعراضى الفنان الكبير فؤاد الجزائرى.

حضرت هذا العرض فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة مع ثلاثة آلاف متفرج يتابعون فى حماس وإعجاب.

## المسرح الغنائى

إن قيمة ما تقدمه فرقة جامعة القاهرة لحياتنا الفنية تبدو فى مكانها الصحيح إذا عرفنا خطوات المسرح الغنائى فى بلادنا حتى الآن.

إن المسرح الغنائى ظاهرة تدل على فن راق يشمل أكثر من لون من الفنون كالغناء والرقص والتمثيل والموسيقى. وقد طالب النقاد كثيراً بضرورة الاهتمام بهذا اللون من الفن. والحقيقة أن الافتقار إلى هذا اللون يرجع إلى الافتقار إلى الثقافة الموسيقية. فعدد العارفين قليل والموسيقيون الدارسون فى ندرة ولهذا نجد ذوق الجماهير أصبح حجة لكل فن فاشل بمنطق «الجمهور عايز كده».

لكن المسرح الغنائى كان قد وصل إلى درجة كبيرة من النضج على يد سيد درويش، وهذا لا يعنى أن محاولات لم تبذل فى هذا المجال قبل سيد درويش فهناك على الكسار وسلامة حجازى وزكريا أحمد وغيرهم وقد بذلوا جهودهم حسب مفهوم كل منهم لفن المسرح الغنائى.

## مسرح سيد درويش

يقول فؤاد الجزائري مخرج أعمال الفرقة: كان التخت أيام سيد درويش هو مجال الأغنية. وكانت الموسيقى فى نظر الناس لا هدف لها سوى التطريب. فجاء سيد درويش ولحن أوبريتات، فقيرة الصورة تماماً. إذ إنه لم يلحن بتكنيك الأغنية الفردية. ونقل الموسيقى من مرحلة التخت إلى مرحلة الأوركسترا. وعلى رغم خطورة هذه النقلة إلا إنها لم تفقدها العذوبة والميلودية والروح المحلية. ولهذا ظلت موسيقى سيد درويش لها طابعها وشخصيتها المصرية. وقد ظهرت قدرته فى التعبير عن المعانى وليس التطريب. وقد اتسمت ألحان سيد درويش بالحركة والحيوية كما يقول مخرج الأوبريت. كذلك لم يستخدم سيد درويش «الربع تون» مما يؤكد أنه كان يدرك الفرق بين ألحان الأوبريت وألحان الأغانى الفردية. بل أكثر من ذلك أنه استخدم المهارمونى فى بعض أعماله المسرحية. ثم تدهور المسرح الغنائى وتراجع بعد وفاة سيد درويش. أما الدكتور عبد الحى الليثى الأستاذ بكلية الزراعة والمسئول عن النشاط الفنى بجامعة القاهرة فيقول:

السبب فى ذلك يرجع إلى الانتفاضة الفكرية التى أصابت البلاد عقب تناحر الأحزاب والابتعاد عن فلسفة ثورة ١٩١٩ وتجاهلها أمام المصالح الحزبية. وفى الواقع توقعنا بعد ثورة ١٩٥٢ أن يعود المسرح الغنائى إلى الوجود باعتباره من فنون الاتصال الجماعى، وهو أصلح الفنون لمجتمع اشتراكى بعد النهضة الفكرية التى ارتبطت بثورة ١٩٥٢.

## بعث المسرح الغنائى

وفى الواقع إن بعث المسرح الغنائى يتطلب تكوين أجيال مثقفة موسيقياً وإعادة التراث القديم والاهتداء به، فالفنان امتداد للفنان ولا جديد بلا قديم. وهذا ما أدركته جامعة القاهرة لإحساسها بالمسئولية التاريخية أمام الأجيال على حد تعبير الدكتور عبد الحى الليثى الذى فكر فى تحمل جامعة القاهرة - ككل الجامعات فى الدول المتقدمة - عبء بعث المسرح الغنائى من جديد ويحكى حكايته مع فن الأوبريت من أولها.

## العشرة الطيبة

كان العمل الأول للجامعة هو أوبريت «العشرة الطيبة» من ألحان سيد درويش وإخراج فيصل عزب وبطولة محمد قابيل. قدمت الفرقة أكثر من عشرين ليلة عرض لجماهير محافظات مصر. وكان نجاح هذا الأوبريت جواز مرور لجميع الأعمال الفنية الجديدة.

## على بابا

فى مهرجان الجامعة لعام ١٩٦٩ قدمت كلية الزراعة أوبريت «على بابا» قصة توفيق الحكيم. إخراج فيصل عزب ألحان زكريا أحمد بطولة محمد قابيل وفاز بالجائزة الأولى للأعمال الاستعراضية فى المهرجان. كما فاز بطل الأوبريت بجائزة «مطرب الجامعة الأول» وهى جائزة تعطى لأول مرة فى تاريخ الجامعات المصرية بعد أن كانت تعطى لفتى الجامعة الأول فى التمثيل.

## شهرزاد

وأحدث أعمال الفرقة أوبريت «شهرزاد» ألحان سيد درويش، إخراج فؤاد الجزائرى بطولة محمد قابيل، وكالعادة تم تقديمه فى عدة محافظات مصرية ولقى نفس النجاح الذى سبق أن لقيه أوبريت «العشرة الطيبة»، وكان إحساس الجماهير هذه المرة وهى تشاهد الأوبريت. أنه العمل المناسب فى الظروف المناسبة. فالأوبريت وطنى من الدرجة الأولى والجماهير بعد نكسة ١٩٦٧ مازالت تبحث عن العمل الفنى الحافز للهمم والدافع إلى المعركة.

وسيد درويش كعادته فنان متصل بالجماهير، كان يتستر وراء شخصيات تركية وسناجق ومماليك ليقول ما لا يستطيع أن يقوله علنا فى عصره لضغط سلطات الاحتلال والحكومات المتواطئة معها. لذلك تجده قد ملأ الأوبريت بالأغاني الحماسية مثل (أنا المصرى كريم العنصرين - أحسن جيوش فى الأمم جيوشنا - دقت طبول الحرب يا خيالة).

ومن حيث الإخراج فقد استطاع فؤاد الجزائرى أن يقدم عملا أقرب إلى فن الكوميديا الموسيقية منه إلى الأوبريت.

## مطرب الأوبريت

ويحتاج المسرح الغنائى إلى نوعية خاصة من المواهب الغنائية، فلا بد أن يتسم الصوت بالقوة والوضوح، وأن يكون صاحبه دارساً للموسيقى بالإضافة إلى ضرورة إجادته لفن التمثيل. وقد توافرت هذه الشروط لدى مطرب الأوبريت فى الجامعة محمد قابيل.

وكل من استمع إلى محمد قابيل يشهد لوهبته الأصيلة - لكن ما الذى جعله لا يظهر الآن إلا من خلال أوبريتات فرقة الجامعة؟ يجيب قابيل بقوله: الإذاعة فى رأى هى آخر هدف للمطرب. فهو أساسا يجب أن يبدأ من الجمهور وأنا ذهبت إلى الناس فى المحافظات مع الفرقة. وكمان ما أحبش أكون من المتطفلين على الناس. لازم أكون قابلتهم فى المسرح قبل ما أدخل بيوتهم.

وفى أعقاب نكسة يونية جاء وفد من طلبة الصحافة بجامعة موسكو لزيارة القاهرة. وفى نادى خريجى الصحافة استمعوا إلى قَسَم الثورة. وهو نشيد لحنه وأداه محمد قابيل وهو من تأليف الشاعر الفلسطينى سميح القاسم. وقالوا إن هذا النشيد دليل واضح على إصرار الشعب المصرى على الصمود فى معركة المصير. وكان يلقي نشيده بحماس فى حفلات الجامعة.

ويقول محمد قابيل عن تجربته مع المسرح الغنائى: إن النجاح الذى لقيته أعمال سيد درويش عندما قدمناها لجمهور المحافظات حفزنى لكى ألحن بعض الأوبريتات. وانتهيت فعلاً من تلحين أوبريت مسرحى بعنوان «أكتوبر يا شهر الحصاد» وأوبريت تليفزيونى بعنوان «مذكرات الأسطى عوضين» ويخرجه وسيم طيارة.

وأخيراً فإن فرقة جامعة القاهرة، ظاهرة جديدة لفتت الأنظار. وعلى المسئولين فى الجامعة أن يهتموا بها حتى تحافظ على النجاح دائماً وبدرجة (ممتاز).

لـلـ

ونشر الأهرام يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٠ على صفحته الأخيرة هذا التقرير بقلم الكاتب الصحفى محمد صالح:

## جامعة القاهرة وأسبوعها المسرحي

أمس: بدأت الفرق المسرحية بجامعة القاهرة مهرجانا مسرحيات أدب المقاومة على مسرح نجيب الريحاني بالقاهرة يستمر أسبوعا. وفي الأسبوع الماضي تبارت ٩ كليات للزراعة في جامعاتنا على كأس الفنون الشعبية والتمثيلية وذلك ضمن مسابقات مهرجان الدورة الزراعية التي أقيمت في جامعة الإسكندرية هذا العام وفازت كلية الزراعة جامعة القاهرة بالكأس.

الفرقة التي تستحق وقفة عندها - من واقع انتصاراتها الفنية الغنائية هي منتخب الجامعة. الذي يحمل اسم الفرقة الاستعراضية الغنائية بجامعة القاهرة والتي فازت بكأس الجامعات مرتين متتاليتين. قبل أن تحصل على الكأس في الإسكندرية الأسبوع الماضي. الفرقة تكونت منذ سنتين لكنها على رغم العمر القصير، استطاعت أن تقف على أقدامها وتقدم بنجاح - على رغم قلة الإمكانيات غير الفنية - تراثنا القديم في المسرح الغنائي فتحبيه. قدمت أوبريتات سيد درويش «العشرة الطيبة» و «شهرزاد». كما قدمت «على بابا» تأليف توفيق الحكيم، ألحان زكريا أحمد، و «البيرق النبوي». ألحان أحمد صدقي. الفرقة بذلك تكون حاملة لواء إحياء الأوبريت المصرية لافتة أنظار المتفرجين للفن الأصيل إلى إمكان وضع أوبريتات مصرية معاصرة، ضاربة المثل بموسيقار مطلع القرن سيد درويش الذي كان متطور الفهم عندما خلص ألحان الأوبريت من نغمة الـ ١/٤؛ تون التي يرجع إليها جانب كبير من التطريب في موسيقانا الشرقية. فاستطاع بموسيقاه العذبة الحلوة التعبير عن المعاني مما نجده واضحا في: «أحسن جيوش في العالم جيوشنا» و«أنا المصري».

ولأن الفرقة تستعد لجولة في المحافظات من منتصف يونيه القادم، وقبلها تحيي ٦ حفلات في القاهرة. وكأنها تبشر بخير. فإنها تحتاج إلى رعاية من وزارتي الثقافة والتعليم العالي حتى لا تبدو ديكورات العروض والأزياء بهذا المستوى. خاصة وأن الفرقة تعيش على اعتماد سنوي قدره ٢٠٠ جنيه من ميزانية اللجنة الفنية لاتحاد جامعة القاهرة.

إنها فرقة تستطيع بالتشجيع الذي تقدمه أن تدفع بها إلى مصاف فرق لجامعات أوروبية زارنا بعضها.

وعندها ستكون الفرقة التي ترفع فى القاهرة لواء إحياء تراثنا الموسيقى المسرحى . كما ترفعه فى الثغر . الفرقة المحترفة لمسرح سيد درويش .  
نشرت جريدة المساء القاهرية يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧١ هذا التقرير :

## المسرح الجامعى فى جبهة القتال

«المسرح الجامعى فى كل بلد هو طليعة المسرح العام فيها . والذى نحتاجه فى بلدنا هو المسرح الغنائى . وأن تقوم الجامعة وتواصل رسالتها للمسرح الغنائى هو دور طبيعى أن تقوم بدور طبيعى» .

بهذه الكلمات تحدث الدكتور عبد الحى الليثى مؤسس المسرح الاستعراضى الغنائى بجامعة القاهرة عندما التقيت به أثناء تقديم العرض رقم ٣٠ لأوبريت «العشرة الطيبة» على مسرح البالون والذى قام ببطولته الفنان الشاب محمد قابيل الملقب بمطرب الجامعة الأول منذ عام ١٩٦٨ .

والجديد فى الحركة المسرحية حقا تلك الوثبة التى توصلها الجامعة فى طريق احتلال ريادة النهضة المسرحية . منذ ست سنوات قدمت الجامعة مهرجانا سنويا للاحتفال بأعمال توفيق الحكيم قدمت فيها أوبريت طواه النسيان هو «على بابا» قام ببطولته محمد قابيل أيضا . وبعد عدوان يونيه ١٩٦٧ تقدمت الجامعة بمهرجان ناجح لأعمال أدب المقاومة فى العالم ، على أن الظاهرة الملفتة هى تقديم الجامعة لأعمال سيد درويش والتى عرض منها «شهرزاد» لأبطالنا على جبهة القتال . ونالوا الإعجاب الشديد من جنودنا البواسل . كما استطاع الفنانون الشباب أن يكسبوا ثقة النقاد والمتخصصين فى تراث سيد درويش مثل جمعية أصدقاء سيد درويش التى يرأسها محمد على حماد ويحرص دائما على حضور جميع عروض هذه الفرقة .

وتتميز الفرقة الاستعراضية الجامعية بقيامها على أسلوب علمى جاد - والكلام لقابيل مطرب الفرقة - والدليل على نجاحها ، استمرارها طوال خمس سنوات فى تقديم التراث ، الأمر الذى يؤكد أنها تفتح أبواب المستقبل للمسرح الغنائى .

ويقول مؤسس المسرح الغنائى الجامعى الدكتور عبد الحى الليثى : إن الإعداد يجرى لتقديم رائعة سيد درويش الثالثة «الباروك» وهى المعروفة بصعوبة أحنائها لاتجاه سيد

درويش فيها إلى فن الأوبرا. لكن موهبة الشاب محمد قابيل الاستعراضية والأوبرالية تؤكد أننا سوف نستمر في نجاحنا لتدعيم المسرح الغنائي. وهو الأمر الذي أكده محمد على حماد من واقع رئاسته لجمعية أصدقاء سيد درويش. إنه يستطيع أن يقول إنه اكتشف في المطرب محمد قابيل نجماً جديداً في عالم اللحن والضرب. وقال إنه استمع لقابيل وهو يؤدي دور البطولة الغنائية في مسرحية «شهرزاد» لسيد درويش. وأنه يستطيع أن يقول إنه ترجم سيد درويش بمنتهى الصدق والأمانة والإحساس.

وفي الواقع إن بعث المسرح الغنائي يتطلب تكوين أجيال مثقفة موسيقية. وإعادة التراث القديم والاهتداء به. وهذا ما أدركته جامعة القاهرة لإحساسها بالسنسؤولية التاريخية أمام الأجيال. على حد تعبير الدكتور عبد الحى الليثى الذى فكر فى أن تتحمل جامعة القاهرة ككل الجامعات فى الدول المتقدمة عبء بعث المسرح الغنائى من جديد. ويضيف عن خطة المسرح الغنائى أن الفرقة الصغيرة ستواصل تقديم أكثر من عشرين عرضاً لجماهير الفلاحين والعمال فى المحافظات ولالأبطال والجنود على خط النار إيماناً بالدور الجديد للجامعة فى الالتحام بالمجتمع.

□□□

وفى صيف ١٩٩٧ قدم قطاع الفنون الاستعراضية والغنائية أوبريت «الباروكة» لسيد درويش على مسرح محمد عبد الوهاب على كورنيش الإسكندرية. وهولت إلى هناك لأشاهد وأكتب المقال التالى:

## باروكة فى عز الحر

□ أعراض الصيف المسرحية: المجنون. واللى بياكل ستاكوزا - واللى عامل قطة واللى لايس كاب - وبتاع المحمول. واللى بيبيع لئون. وبالللو والعسل والبصل. وفى وسط كل ذلك تعلن الفرقة الغنائية الاستعراضية عن «الباروكة» لسيد درويش.

□ وأعظم ما عند سيد درويش هو المسرح. وأجمل مسرحياته لحنا «العشرة الطيبة». «شهرزاد». «الباروكة». والأخيرة خلاصة تحصيله فى لغة المسرح الأوروبى. مع موهبته غير العادية التى تصل لدرجة العبقرية. «الباروكة» من أندر أعماله. فهى منذ رحيله لا حس ولا خبر. فكلنا نعرف «العشرة الطيبة» و«شهرزاد» وبعضنا

أطفال أطربوا العالم —

يعرف «راحت عليك» وبقية مسرحياته الثمانية والعشرين. نسمع عن «الباروك»، ولم نتشرف بسماع ألقانها. ولما استمعت إليها بمصاحبة الدكتور عبد الحى الليثى أستاذ البكتيريا بزراعة القاهرة من منزل الناقد محمد على حماد - وكان رئيساً لجمعية سيد درويش- لم أستوعبها بسهولة من زحام الخطوط الموسيقية فى التوزيع الذى سجلت به.

لذلك أقدر تماماً المجهود العظيم الذى قام به المخرج أشرف النعمانى فى الحصول على النوت الموسيقية للباروك ثم تقديمها فى قالب درامى جديد وهو ما سبق أن فعله المخرج الكبير فؤاد الجزائرى فى أوبريت «شهرزاد» على المسرح. أوبريت «العشرة الطيبة» فى التليفزيون. وحاول النعمانى تقديم العرض من خلال مسرح الهناجر التابع لدار الأوبرا. ثم الخطوة الأكثر جرأة بتقديمه على مسرح محمد عبد الوهاب الصيفى بالإسكندرية.

و«الباروك» فى عز الصيف مغامرة فنية كبرى، وعلى رغم أن المسرح يفتخر بذلك وهو توازن مطلوب بتقديم عروض لها قيمة مثل الباروك. مقابل عشرات الأعمال التجارية. فإن سيد درويش فى مسرحه الغنائى يحتاج إلى مناخ آخر يضمن له الاهتمام الجماهيرى والإيقاع والمشاهدة المركزة المتأنية. وكنت أتمنى أن تعرض «الباروك» على مسرح سيد درويش بالإسكندرية شتاء. فهى ليست مادة للمصيفين. ولا هى برنامج ترفيه، إنما تحليق ومنتعة حسية وذهنية. بالإضافة إلى كونها من ألح المحطات الفنية فى تاريخ المسرح الغنائى المصرى. ومازال الأمل موجوداً فى موسم الشتاء. فلتعرض على مسرح الجمهورية بالقاهرة أو مسرح سيد درويش بالإسكندرية.

وفى كلمة المخرج أشرف النعمانى فى نشرة المسرحيات، إشادة بالمخرج الراحل فؤاد الجزائرى. صاحب البصمة الواضحة فى مسرحنا الغنائى والاستعراضى. لذلك فقد آمن بأن النص الذى تم عرضه عام ١٩٢١. لا يصلح فى مفارقاته وحواره عام ١٩٩٧. فعهد إلى الأديب علاء عبد النعيم بإعادة كتابته. كما فعل الجزائرى فى «شهرزاد» و«العشرة الطيبة» ما جعلها تحتوى على النصوص الغنائية بأكثر مباشرة وبساطة وكذلك فعل علاء فى نص الباروك.

لوقن الأوبريت بصفة عامة، يعتمد على قصة بسيطة فيها من الخيال أكثر من الواقع. ومع ذلك فقد جاءت أحداث مسرحيتى سيد درويش «العشرة الطيبة»

و «شهرزاد» أقرب إلى «المنصرية». أما أحداث «الباروك» فهي أبعد ما تكون عن المنصرية. فأسماء أبطالها أجنبية وهي: روكو، كلارك، بيبو، بيتينا، فرتي، فيامتا، لوران، وغيرها.

□ من ميزات مسرح سيد درويش أن ألقانه قابلة للتوزيع الموسيقي في عرف الفرق بين ألحان المسرح والألحان التقليدية، لذلك قدمت «العشرة الطيبة» في الإذاعة بتوزيع موسيقي لعبد النعيم على وأعاد توزيعها عزيز الشوان عندما أخرجها مجدى مجاهد وعرضها على مسرح البالون. ووزع محمد حسن الشجاعى ألحان «شهرزاد». أما «الباروك» فقد قدمت على مسرح محمد عبد الوهاب بمصاحبة «تخت» كبير شرقى يتضمن آلات العود والقانون والناى !! مع إن الباروكه هي الأنسب للتوزيع الموسيقي الكبير من «العشرة الطيبة» و «شهرزاد» لمناها غير المصرى، وألحانها التي عولجت حسب الغناء البوليفونى منذ عهد تلحينها.

□ وربما يرجع الشكل الموسيقي الحالى للباروكه إلى أن عرضها بدأ فى مسرح بسيط وتجريبي هو الهناجر. أما العرض فى مسرح محمد عبد الوهاب المفتوح فقد أضع صوت الكورال وأبعد عزف الفرقة عن آذان الممثلين والمطربين.

□ محمد ثروت غنى «الباروكه» بصوت قوى ومعبر وحضور تمثيلى واضح. ومها البدرى اكتشاف فى مجال المسرح الغنائى، وحمدي أحمد وجمال إسماعيل تحملاً مسئولية الترتيب والترفيه مع رسم خطوط الحدوتة تمثيلاً وغناء، وديكور محمود سامى، وملابس نعمة عجمى من العناصر الناجحة فى العرض.

□ بارك الله فيمن أعاد كلمة «الغنائية» إلى اسم الفرقة الاستعراضية، وبارك الله فيمن فكر فى «الباروكه» وفى كل من شارك فى تقديمها.

□□□

لم يلق سيد درويش منا التكريم الذى يستحقه وكان يجب ألا يقل عما يلاقه الموسيقار شتراوس فى فيينا، وموتسارت فى سالزبورج، وبيتهوفن فى ألمانيا والنمسا. وأجمل صور التكريم هو عرض أعمال الفنان لتتعرف إليه الأجيال، ومع ذلك فالإذاعة المصرية لا تذيب أعماله إلا قليل القليل، والتلفزيون لا يعرض منها شيئاً، أما المسرح فقد عرض «العشرة الطيبة» ثم «الباروكه» واكتفى بذلك.

أطفال أطربوا العالم —

إن هيئة الثقافة الجماهيرية هي الجهة الأكثر تقديراً لسيد درويش . تصدر عنه الكتب والدراسات والأبحاث . وأجرت مسابقتها الكبرى عن موسيقاه عام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ بمناسبة مرور ٨٥ سنة على رحيله ، لكن وزارة الثقافة في جهة أخرى أهملت تراث الرجل ، بل وآثاره ، فبدلاً من أن تطلق اسمه على حي كوم الدكة بالإسكندرية الذي ولد فيه ، حاصرت منزله ، وطرد سكانه استعداداً للنسف ، وهو نفس المصير الذي لاقاه منزله في القاهرة والذي عاش فيه في حي جزيرة بدران بشبرا ، حين تصدع وانهار دون مدد أو مساعدة من وزارة أهم واجباتها حماية وتأمين والحفاظ على آثارهم تخليداً لهم وتوعية للأجيال .

يستحق سيد درويش تكريم مصر له ، وتكريم العرب أجمعين . فهو مؤسس اللغة الموسيقية العربية التي استخدمها في إبداعات موسيقية جديدة ملتزمة ، هي في السلام وردة رقيقة ، جميلة ، ناعمة ، وفي الحرب أو الكرب حد السيف .

□□□